تغيير اجتماعي مقبل: بل هو صراع داخل النمط نفسه والتشكيلة نفسها على مصادر السلطة والقوة.

وقد نشأ الاقطاع، في فلسطين، في ظروف اقتصادية وسياسية متعددة الجوانب، بحيث لم يتمكّن فيها من تشكيل طبقة اقطاعية موحّدة المصالح، تحكم من خلال سلطة مركزية إقطاعية واحدة بغض النظر عن الانتماءات والاصول الطائفية او العائلية والعشائرية، فكان التفتت الاقطاعي والعشائري والعائلي يرتبط من خلال عدد من الاشكال الاجتماعية والسياسية بالسلطة العثمانية على اساس من جباية الريع والضرائب المختلفة، والخضوع السياسي لها في الظروف العادية، اما في الظروف التي كانت تضعف فيها السلطة العثمانية، فقد كان الخضوع السياسي بصفة عامة يتم (بصورة مباشرة احياناً ومتعارضة في بعض الاحيان، وبرضى السلطان في احيان اخرى) من خلال سيطرة الامارات الاقطاعية القوية التي لم تستطع، للظروف السابقة الذكر، ان تعبّر عن مصالحها العامة والاساسية من خلال حزب سياسي مثلاً، او في شكل سياسي محدد يؤطر ايديولوجيتها او يكثّف من تجانسها الطبقي.

إذاً فنحن، هنا، أمام طبقة اقطاعية غير متجانسة كانعكاس لظروف عامة تجمع التشكيلات الاقتصادية ــ الاجتماعية ــ الماقبل رأسمالية ــ في تفاعلها مع العوامل الخاصة التي حكمت تطور ونشوء هذه الطبقة ضمن إطار السلطة العثمانية. وهذا يطرح السؤال المهم التالي، وهو ما مدى انعدام تجانس هذه الطبقة، وعلى اي اسس قام هذا التباين؟.

لقد اعتمدت هذه الطبقة، في تشكّلها، على عاملين اساسيين ميّزا مناطق جغرافية محددة وفي فترات زمنية مختلفة هما: نظام الالتزام السباهي والتغيّرات التي لازمته (وقد ميّز عائلات منطقة الشمال في القرن ١٨، والنصف الاول من القرن ١٩). ثم الارتباط الوظيفي بالدولة العثمانية والانتداب البريطاني (والذي ميّز عائلات منطقة القدس خصوصاً في الفترة ما بعد منتصف القرن ١٩). فنحن هنا لسنا إزاء تنوع جغرافي فقط، بل ايضاً امام انفصال تاريخي اخذت فيه كل منطقة دورها المحدد على اساس اوضاعها الخاصة في فترات تاريخية منفصلة، فلن يكون مطروحاً نقاش اوضاع الانفصال هذه في فترة صغيرة محددة فقط وتعميمها على الفترة كلها، بل سيكون ضمن إطار رؤية هذا الانفصال بحركته: تقاربه وتباعده. قوته وضعفه، شموليته او محليته الضيقة.

ويمكن فرز ثلاث مراحل اصلية من حركة هذه الطبقة (غير المتجانسة)؛ وهذه المراحل هي:

ــ المرحلة الاولى: مرحلة بروز عائلات منطقة الشمال المدينية (خصوصاً منطقة نابلس)، وصراعها فيما بينها من اجل مراكز السلطة السياسية والاقتصادية (١٧٩٦ ــ ١٨٢٣).

ــ المرحلة الثانية: مرحلة صعود بعض العائلات الريفية في المنطقة نفسها،